مطبوعات جديدة

HENRY HABIB AYROUT, S. J., Mœurs et coutumes des Fellahs. Préface de M. André Allix, Professeur à l'Université de Lyon, 1 vol. in-8°, x+190 pp., 32 photographies. [*Collection d'études, de documents et de témoignages pour servir à l'histoire de notre temps*], Paris, Payot, 1938, Prix : 25 fr.

الفلاّح المصري : اخلاقه وعاداته

اذا اردت ان تقف على بعض مظاهر الهيئة الاجتماعية المصرية الحديثة ، فلا بد لك من مطالعة هذا الكتاب للاب هنري حبيب عيروط اليسوعي . ففيه تجد معلومات جغرافية وزراعية واقتصادية لا غنى عنها لمعرفة معيشة الفلاح الفردية والعائلية والاجتماعية . تجد معلومات مستنتجة من ملاحظات واختبارات شخصية ، لان المؤلف من البلد الذي درسه ولانه ايضاً ، بحسب دعوته الدينية ، يعيش بالقرب من الفلاح فيصغي الى كلامه ويتأثر عند اناته وشكاويه .

يدور الكلام في هذا الكتاب حول نقطتين جوهريتين متناقضتين هما عمران مصر بسبب ازدهار الزراعة ، وتقهقر الفلاح ، العامل الاوحد في سبيل هذا العمران .

ان مصر من اغنى البلاد العالمية بالنسبة الى مساحتها وعدد سكانها ، اذ هي من البلاد القليلة التي يغلب فيها التصدير على التوريد . وهي تجمع في خزينتها اكثر من ٣٣ مليوناً ذهباً كل سنة .

بيد ان الفلاح لم يزل على ما كان عليه في عهد الفراعنة . كان فقيراً ومريضاً ومستعبداً ، وظل فقيراً ومريضاً ومستعبداً . لا يزاد يقاوم رؤساءه لان السلطة التي اعتاد ان يأخذ باوامرها دون ما مجادلة ، ادت به الى عبودية اغلقت بصره وجعلته يجهل ان له حقوقاً يمكنه ان يطالب بها .

يعيش الفلاح في فقر مستمر لانه ابداً اجير بارض غيره . يدفع بكل قواه الى المتملكين يقدرون عليه لانهم لا يقدرون اتعابه ولانهم يحسبونه منتجاً خلق لخدمتهم .

بيد انهم يعيشون بالرفاهية في المدن كالقاهرة والاسكندرية فلا يعرفون

من المزارع والحقول سوى ما تشاهده اعينهم الجشعة من نافذة العربة او القطار . ينتظرون المال في بيوتهم فيأتيهم رتاتاً . يتفرنجون ويقضون غالباً فصل الصيف في اوروبة ثم يبذرون في ليلة واحدة ما يكفي لاعاشة فلاح مدة السنة .

ان مصر الحديثة ، مع عمرانها وازدهارها ، مرتكزة بكاملها على الطبقة الفلاحة . وبهذه الطبقة تجمع اكثر من ثلاثة ارباع السكان جميعهم يتألمون من امراض يلتقطونها من الارض ، لان الارض التي يندفنون اليها بكل قوائم تبث في اجسادهم جراثيم تجسمت فيهم فصاروا يتناقلونها ابا عن جد . شوهت وجوههم وهزلتهم وقادت بالنصف منهم الى الهلاك . ولو لم يكن الفلاح ممن يريدون النسل والاولاد ، لما ارتفع عدد السكان في مصر من خمسة ملايين الى ١٦ مليوناً في اقل من قرن واحد .

اما الاولاد فان النصف منهم يموتون قبل تجاوزهم العاشرة . لان « الفلس الدموي » الوراثي يضعف قوائم ويجعلهم عاجزين عن مقاومة الجراثيم وهم في الصغر . وتثبت لنا التقاويم الرسمية ان الاولاد الذين يموتون قبل العاشرة يبلغون ٦٥ بالمئة من مجموع الوفيات . اما الامراض التي تترك اسوأ اثر فهي امراض العين والمعدة والمجاري البولية : تصيب اكثر من الثلثين بالمئة في بعض المديريات .

اضف الى كل هذا الجهل الرائع الذي يتصف به الفلاح . واذا قلنا ان الفلاح جاهل ، وان مصر لم تصنع شيئاً لتثقيفه ، فهذا لا يعني اننا نطالب بتدريس العلوم والرياضيات والاختراعات والمذاهب الفلسفية الحديثة لان الانسان يغنى عنها . انا نطالب بتعليم تلك الامور الانسانية التي لا يحيا المرء دونها . فعلى السلطة ان تفهم الفلاح ان له حقوقاً وان بامكانه ان يطالب بهذه الحقوق ، اذا ما تحقق له ان القساوة والضغط يحطان من قيمته ، وان الارباح التي يسح له بها الاشراف والمتملكون لا تناسب الاتعاب التي يصرفها في سبيل الرؤساء .

بلى الآن فانه يجهل بتاتاً روح الحق وطرقه . يجهل الامانة ، والمروءة ، والصدق . شغله خال من اللذة لان الذين يمت نفسه في سبيلهم لا يكافئونه الا بالاهانات والتقتير . لا يكب على العمل الا اذا رفع الكرباج وزاد ظهره . ولذا طرق الشغل عنده خالية من الابتكار . نفسه محصورة بين الجهل والقساوة .

لا يعرف من الحياة الا العمل والقهر والذل . لذلك نرى البعض يتساءلون عما لا يدفع الفلاح الى التظاهر بالمقاومة والثورة . اولئك يجهلون ان الفلاح يعيش منفردًا في بقعته وان لا علاقات له مع الخارج . فالطفل ينشأ في محيط اهله ويتغذى من افكاره ويتبع الخطة المرسومة ويندفع امام التيار الدائم دون ان يعرف انه من الممكن ان يقاوم هذا التيار . يعاشر في مدة صغره مدرسة الشيخ فيتلقن فيها بعض مبادئ الديانة الاسلامية ، ثم يندفع قبل العاشرة الى تحمل ضغط المحيط . اصبح اذن ذهن الفلاح ضعيفًا لكثرة ما اعتاد الاخذ دون رد او جواب ، واصبح عقله غليظًا غير قادر على ان يفيق من سبات طويل لا يزال يغرق فيه يومًا بعد يوم .

اذن بالرغم من عمران مصر وازدهارها فان اربعة اخماس السكان لا يزالون على ما كانوا عليه في عهد الفراعنة سواء في عقليتهم وعاداتهم او في طرق معيشتهم وشغلهم . والمشكلة في ذلك ان نعرف الاسباب التي تبرهن عن هذا الجمود العقلي الذي يجعل الفلاح المصري في طبقة متأخرة .

فمنهم من يرجع هذا الى قلة الطعام او الى عادة الاستسقاء ، او الى المناخ ، ولهذا اخذوا يطالبون بتثقيف الفلاح .

لكن كثيرًا من المدبرين يظنون انه اذا ثقف الفلاح انقاد الى التعاسة وان حالته النفسية الحاضرة المركبة من عدم شعور وعوائد معروفة سهلة هي اسعد حال له . فهو لا يتألم من هذه التعاسة التي تحيط به وهو لا يشعر ان له حقوقًا وملذات يمكنه ان يطالب بها . فان قلنا له ان له حقوقًا فقد نفيق في قلبه مطالب هو يغني عنها . وهو اذا سعى وراء الراحة والملذات اشأزت نفسه من الاشغال الزراعية المتعبة . فاذا يحل بمصر والمصريين عندئذ ؟

وقد اكد احد النواب سنة ١٩٣٣ ان تثقيف العامة هو السبب الاوحد المؤدي الى هلاك البلاد .

اننا لا ننكر ان في هذا الزعم شيئًا من الصواب . واننا نقبله اذا لم نجد بين التعليم الخالي من التثقيف والتعليم المطابق لعقلية الفلاحين . اما هذا الاشتراز

الذي يتكلمون عنه فانه ينتج من تعاسة وفقر اكثر مما ينتج من هذا التثقيف.

ولكن لا نخالنا صادقين اذا توقفنا في حديثنا دون ان نشير الى التحسينات التي جرت في مصر في العشر السنوات الاخيرة. ان الاب عيروط يقول ان مصر الراقية ابتدأت تعنى بمصر المتأخرة. لكن النتيجة لم تكافئ بعد هذه المساعي. على ان الأمل كبير بثبات الحكومة في مسعاها الانساني الضروري.

م. ع.

تاريخ الفلسفة اليونانية

تأليف يوسف كرم

مدرس بكلية الآداب في الجامعة المصرية

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة ١٣٥٥-١٩٣٦

ان اثر الفلسفة اليونانية في تطور الفكر البشري غني عن كل بيان، واغنى منه تأثيرها على مفكري الشرق والاسلام. فاذا كان من المستطاع ان نقول ان للعرب فلسفة فلانهم تتلمذوا لفلاسفة اليونان واخذوهم لهم هداة، يدرسون مؤلفاتهم ويشرحونها ويعلقون عليها وذلك اعتقادا منهم ان اليونان وضعوا اصول الفلسفة. وحسبنا ان نذكر راي العالم الاسلامي الكبير البيروني الذي اطلع على علوم اليونان وعلوم الهند فرأى ان الهنود كانوا يعترفون لليونان بان ما أعطوه من العلم ارجح من نصيبهم (الهنود) منه... «كنت آنف من منحيهم مقام التلميذ من الاستاذ لعجمتي فيما بينهم وقصوري عما هم فيه من مواضعاتهم، فلما اعتديت قليلا لما اخذت اوقفهم على العلل واشير الى شيء من البراهين والوح لهم الطرق الحقيقية في الحسابات فانثالوا علي متعجبين وعلى الاستفادة متهافتين... فكادوا ينسبونني الى السحر... اقول ان اليونانيين كانوا على مثل ما عليه الهنود من العقيدة ولكنهم فازوا بالفلسفة... تفخروا لهم الاصول... ولم يك للهند امثالهم ممن يهذب العلوم فلا تكاد تجد لهم خاص كلام الا في غاية الاضطراب وسوء النظام... اني ما اشبه ما في كتبهم من الحساب ونوع التعاليم الا بصدف مخلوط بخزف. والجنسان عندهم سيان اذ لا مثال لهم لمعارج البرهان»

وهذا لا يعني ان الفرس والهنود والصينيين لم يزاولوا النظر العقلي المجرد الى حد بعيد لكن غايتهم كانت دينية في المقام الاول. ارادوا ان يجدوا سبيلاً الى النجاة من الشر المحيط فلم يأتِ العلم غاية لذاته بل وسيلة للتخلص من الشر والألم. فلم يتوصلوا الى تبين ماهية الفلسفة كعلم مستقل. فكان من نصيب اليونان ان يتوفقوا الى وضع الفلسفة علماً كاملاً قائماً بذاته مبنياً على التجربة والبرهان لا على الكشف او الاشراق. وان حصل لهم ان تطلعوا الى الكشف فانهم حاولوا ان يفهموه كشفاً عقلياً. وساروا على هذا المبدأ معتمدين على قوى العقل الطبيعية حتى اواخر عهد الفلسفة اليونانية حين جاءت الافلاطونية الحديثة التي عدلت عن العقل الى الذوق وردّت هذا الى المقام الاول. وهكذا يظهر ان التفكير الشرقي كان بمثابة المقدمة للفلسفة اليونانية التي جاءت على نحو علمي. لكن هذه الفلسفة لم تأت بنت يوم او وليدة عقل رجل واحد توفق الى وضع اصولها وشاد بناءها دفعة واحدة لكنها كانت نتيجة محاولات عديدة توالت على مدى اجيال قام بها رجال عظام كانوا تارة يتفقون في الرأي وتارة يختلفون. فهذا الكتاب هو تاريخ محاولاتهم ونضالهم في سبيل الحقيقة والعلم.

ليس كتاب الاستاذ كرم الاول من نوعه من حيث الموضوع في اللغة العربية. لكنه ينفرد بمزايا كثيرة لربما تجعله احسن ما كتب حتى اليوم اذا غضضنا النظر عن المطوّلات. فهو اولاً حسن التبويب والتنسيق يقسم الفلسفة الى ثلاثة ادوار: «دور النشوء ودور النضوج ودور الذبول».

والدور الاول فيه وقفتان: الوقت المسمى بما قبل سقراط. وهو يمتاز باتحاد وثيق بين العلم الطبيعي والفلسفة، ووقت السوفسطائيين وسقراط يمتاز بتوجه الفكر الى مسائل المعرفة والاخلاق.

والدور الثاني يملأه افلاطون وارسطو. اشتغل افلاطون بالمسائل الفلسفية كلها، وتجهد نفسه في تحصيلها، ولكنه يمزج الحقيقة بالخيال والبرهان بالقصة، حتى اذا ما جاء ارسطو عالجها بالعقل الصرف، ووفق الى وضعها الوضع النهائي.

والدور الثالث يمتاز بتجديد المذاهب القديمة وبالعود الى الاخلاق والتأثر بالشرق، والميل الى التصوف مع العناية بالعلوم الواقعية. والكتاب كله شرح

لهذا الإيجاز.»

والكتاب اربعة ابواب تميز مواضيعها الهامة ارقام ، ويتسلسل كل موضوع على فقرات تدل عليها حروف ابجدية. وهكذا يكون لكل مسألة وحدة وتشرح معاً ويتيسر على القارئ طلب الامور في مكانها دون حاجة الى قراءة الفصل بكامله. هذا من جانب المظهر. اما المادة فان المؤلف مطلع اطلاعاً واسعاً على اهم واخطر ما ظهر عن تاريخ الفلسفة اليونانية في اللغات الاوروبية. واستقى من هذه المصادر متوخياً ان يجعل كتابه على نسق المؤلفات الاوروبية هذه.

وهناك شيء آخر يستحق المؤلف الثناء عليه — وهو ليس بالامر اليسير في طور الفلسفة العربية اليوم — هو التوفق الى استنباط مصطلحات فلسفية جديدة كلما اضطره المقام ولم يجد عند الاقدمين ما يفي بالحاجة. ثم اردف كتابه بجدول اشبه شيء بقاموس صغير لهذه المصطلحات باللغة العربية والفرنسية نراه مفيداً ومساعداً على توحيد التعبير.

وهاك نموذجاً عن نسق المؤلف وسلامة اسلوبه نجاء به في خاتمة الباب الثاني عن افلاطون:

«نرجو ان نكون قد وفقنا في اثناء تصويرنا مذهب افلاطون الى إشعار القارئ بعض الشيء بسمو روحه وعمق فكره وتنوع أسلوبه. جمع افلاطون في شخصه كل مزايا العقل اليوناني فابلغها الى اقوى وابهى مظاهرها: الجرأة والتؤدة، الحدس والاستدلال، العاطفة واللاحظة، الفن والرياضة، واستوعب جميع الافكار فمحصها الى حد بعيد، وسلكها في نظام واحد بديع، واحس جميع النزعات الروحية، فاستخلصها من الأرضية وسائر الاسرار، ووضحها واحالها معاني عقلية؛ فنقل الدين الى الفلسفة: قال ان المطهرين الذين تتحدث عنهم الاسرار، ما هم الا الذين يعنون بالفلسفة بمعناها الصحيح، وان الفلسفة هي التي تخلص النفس وتدخلها النعيم. واعلى كلمة الفلسفة على كل كلمة. فكان بكل هذه المميزات احد ينابيع حكمة نهلت منه العقول من ايامه الى ايامنا، ولن تزال ترده الى ما شاء الله. واينبوع الآخر تلميذه ارسطاطاليس.»

ي. ع.

سلسلة احاديث كلية العلوم عن العلوم المبسطة : المجموعة الاولى

كلية العلوم في جامعة فؤاد الاول . القاهرة ١٩٣٨-١٩٣٩ ، ١٩٣٩-١٩٤٠

لقد اخذنا نرى في شرقنا العزيز تباشير نضج علمي ، إن كان لا يزال ينقصه الكثير من المشجعات البيئية فانه اصبح ذا شأن لا بأس به . ان عندنا اليوم فئة من العلماء الشرقيين الذين اخذوا العلم عن علماء الغرب بل واخذوا معه حب العلم والشغف به ، شأنهم في ذلك شأن اجدادهم ، وشرعوا يجارون اساتذتهم ؛ فمنهم فئة في بيروت وفي الشام وخاصة في مصر التي تتزعم النهضة العربية بلا مراء لتوفر المال والرجال ولبُعد اتصالها بالمدنية الغربية . واذا كان اهل الشرق يفخرون بعلمائهم الجدد وبنهضتهم فان هؤلاء العلماء يأبون على انفسهم ان يكتفوا بمثل هذا الفخر والاعجاب ، بل يريدون ان ينشروا العلم على الناس ليستفيد الناس من العلم بالعمل . لان العلم المحصور في ادمغة معدودة او في طيات الكتب لا ينفع الا قليلاً . يزاد على ذلك ان العلماء يجدون حافزاً لهم على التنقيب والبحث اذا ما عمر الجو العلمي حواليهم واعتم الناس بفائدة العلوم ومتعتها واخذوا يستزيدونهم علماً .

ولكن لنشر العلم على الناس في شرقنا عقبات جمة . منها قلة المثقفين ثقافة عالية ، وصعوبة اللغة وقصرها عن تمكين الباحث من تبسيط المسائل العلمية بكلام مفهوم قريب المنال يستطيع معه ان يحافظ على التدقيق والسهولة في آن واحد .

غير ان هذه العقبات ليست مستحيلة التذليل وكما انها ذللت في بلدان اخرى فانها يجب ان تذلل عندنا . وهذا ما حدا ببعض الاساتذة في مصر وفي طليعتهم الاستاذ الدكتور علي مصطفى مشرفه بك على الاقدام على هذا العمل . فلجأ الى وسيلتين تكمل الواحدة الاخرى . اولاهما ان طلب الى العلماء الاساتذة او سواهم الذين تخصصوا في علم ما ان يلقوا على الشعب بالراديو حديثاً وجيزاً في موضوع من مادة اختصاصهم في يوم معين من الاسبوع . وان يكون زادهم الدقة العلمية والتشويق ما امكن ، على ان لا يكون تشويق الزخرف والدعاية انما التشويق

الناجم عن اظهار المنفعة من العلوم. فلبى نداءه طائفة من العلماء الغير والفوا من سنة ١٩٣٨ الى سنة ١٩٤٠ سلسلتين من الابحاث العلمية المنوعة. ورأوا ان يعمموا فائدة الالقاء بالراديو فلجأوا الى الوسيلة الثانية اي طبع هاتين السلسلتين في كتاب متوسط الحجم يبلغ ما ينيف على المائتي صفحة.

نظرة واحدة على عناوين الاحاديث تعطي القارئ فكرة عن تنوع المواضيع وكثرة الفائدة: فانه يرى خمساً وعشرين بحثاً يقع كل منها في عشر صفحات تقريباً. منها في احساس النبات، والكيميا الحديثة، وتركيب الذرة، والهواء الذي يحيط بنا. ومنها في اللؤلؤ والمرجان، والارض وتاريخها، والينابيع المعدنية، وعلى هامش النسبية، وكيميا المفرقعات. الخ.. هذا من حيث المواضيع اما من حيث الاسلوب فان القارئ يجد لذة عظيمة اذ يرى اللغة العربية تتسع لمثل هذه الاحاديث العويصة وتروض لها بمرونة وطلاوة، فيشعر بروح انشائية جديدة تدب في عروق لغة الحضارة الغربية التي يغار على حيويتها وتطورها المعقول كل من يحب هذه البلاد واهلها. وما احسن ما ذكر الاستاذ مشرفة بك عن الباحث على تنظيم هذه الاحاديث حيث قال:

«لقد صارت العلوم في عصرنا الحالي ضرورة من ضرورات الحياة، فهي لازمة للدفاع القومي، لازمة لاستغلال الموارد الطبيعية في كل امة، لازمة للمحافظة على صحة الشعب ولتنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية بل هي لازمة لحياة الفرد العادية لا يكاد يستغني عنها في عمل من اعماله اليومية.

فاذا كان هذا شأن العلوم وكان هذا خطرها فاذا نحن فاعلون من أجلها؟.

فالعلوم التي تدرس اليوم في مصر اما انها تدرس دراسة اكاديمية بحتة. او انها تدرس دراسة سطحية بغرض تطبيقها تطبيقاً محدوداً في دوائر ضيقة. والحلقة المفقودة التي يجب ان نعمل على ايجادها هي تلك الرابطة بين العلوم البحتة والعلوم التطبيقية، بين الدراسات الاكاديمية التي ترمي الى المعرفة لذاتها وبين استخدام هذه المعرفة في خدمة المجتمع. عندئذ ترقى الصناعة وتولد الاختراع وعندئذ نستطيع ان نركن الى انفسنا ونعتمد على مواردنا.»

ي. ع.

المشرق

فهرس الجزء الثالث من السنة الثامنة والثلاثين

تموز — ايلول ١٩٤١

		صفحة
الارض والاعمال الزراعية في لبنان وسورية على العهد اليوناني - الروماني (مصوّرة)	الاب رينه موتّرد	٢٢٥
المساجد والمشاعر في العصر الجاهلي : ٢	من آثار الاب لامنس	٢٤٥
المدرسة والتربية الوطنية (موضوع الاسبوع الاجتماعي) :		٢٦٣
التعليم الابتدائي في لبنان كما يريد ان يكون	سامي الشمّاس	٢٦٥
التعليم الابتدائي في لبنان كما هو	شكري الترداحي	٢٨٠
المعلّمون، وكتب التعليم، والمناهج	فؤاد افرام البستاني	٢٩٦
مظاهر الثقافة الفنية في لبنان (مصوّرة)	***	٣٠٩
معهد الآداب الشرقية		٣٢١
بعض المخطوطات العربية التي دخلت المكتبة الشرقية	ف. ت.	٣٢٥
مطبوعات جديدة :	م. عون ي. عضم	٣٢٩